



الصوم وتهذيب الغرائز الانسانية

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من الصوم فرصة للتوبة والالتانة والعودة والاستجابة ، وجعله وسيلة للتربية والتهذيب ، وطريقاً للتعليم والتأديب ، فأمرنا فيه بمقاومة شهوات النفس ، والعودة إلى حظيرة القدس .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وله الشكر والامتنان ، فمنه وحده التفضل والإحسان .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي العدنان ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طرق التميز والهدى والإيمان .

وبعد ... ؛

فكما أن الصوم مدرسة لتربية المسلم إيمانياً وروحياً ؛ حيث أنه يربيه على التقوى والمراقبة ، والمراجعة والمحاسبة ؛ قال تعالى : **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٨٣) **سورة البقرة .**

فإن الصوم - كذلك - مدرسة لتهذيب وتأديب الغرائز الإنسانية ، فالإسلام دين الوسطية والتوازن ؛ حيث أنه يرفض الانصياع الكامل لرغبات النفس وشهواتها ، كما يرفض كذلك كبت هذه الرغبات وسجن هذه الغرائز والسير ضد الفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية .

لذا فقد شرعت العبادات في الإسلام لتهذيب الغرائز الإنسانية ، وجعلها غرائز إنسانية لا غرائز بهيمية حيوانية .

فالصلاة جاءت لتأخذ المرء من غرائزه وشهواته لبعض الوقت فتوقفه بين يدي خالقه ومولاه ، وكما اهتم بغذاء جسمه فعليه أن يهتم بغذاء الروح والقلب .

وكذا جاءت الزكاة لتهدب غريزة حب التملك التي قد تصيب الإنسان بالشح والبخل حتى على نفسه .

وجاء الحج ليأخذ الإنسان من حياة العبودية للمادة ، والعيش للدنيا فقط إلى حياة أخرى في ظل الله يتربى فيها على الإيثار لا الأثرة ، وعلى المساواة لا على التعالي والتكبر .

وجاء الصوم أيضاً ليعلي من شأن الغرائز ويهذبها ويؤدبها ، فمن الغرائز الإنسانية التي يهدف الصوم إلى تهذيبها وتأديبها :

١- غريزة الطعام والشراب .

٢- الغريزة الجنسية .

٣- غريزة حب التملك .

٤- غريزة حب الاجتماع .

فاللهم تقبل منا صيامنا ، وصلاتنا ، وقيامنا ، وركوعنا وسجودنا ، وتلاوتنا ، واكتبنا في الصالحين وأدخلنا الجنة مع الشهداء والصديقين .

راجي عفوره

دكتور / بدر عبد الحميد هيسم

hamesabadr@yahoo.com

في ١٢ من شعبان ١٤٣٢ هـ = ١٣ من يوليو ٢٠١١ م

١- الصوم وغريزة الطعام والشراب :

غريزة الطعام والشراب من أهم الغرائز اللازمة للكائنات الحية ، فالكائن الحي يسعى إلى طعامه وشرابه حتى يحافظ على بقاءه ووجوده ، ولكن ما يفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية أن تلك الغريزة لدى الإنسان لها معايير وضوابط ، فالإنسان يأكل ليعيش وليس العكس ، أما الحيوان فهو يأكل ليملاً بطنه وفقط ، ولا يبالي ما لا يأكل إذا كان من حلال أم من حرام ؟ .

ولقد جاء صوم ليعطي من شأن هذه الغريزة ، فالإنسان يظل يأكل طوال العام ولا يترك فرصة لمعدته - التي هي بيت الداء - للراحة أو الاسترخاء ، ولو أننا تخيلنا مثلاً آلة من الآلات تعمل طوال العام دون صيانة أو راحة فماذا يحدث لها ؟. لا شك أنها ستعطب وتتعلل بل وربما توقفت عن العمل تماماً .

لذا فإن صوم رمضان وكذا صوم النوافل يأتيان بمثابة صيانة لتلك الغريزة ، وتحقيق الاعتدال الذي هو أصل الدين في جميع الأشياء ، فالإسلام لا يدعو المسلم إلى حرمان نفسه من متع الحياة ولا من كل ما أحل الله من الطعام والشراب وغيرهما ، كما أنه يرفض أن يكون الإنسان بهيميا لا هدف له إلا أن يكل ويتمتع كما تأكل الأنعام .

من هنا فقد حث الإسلام على الاعتدال في الطعام والشراب ، قال تعالى :
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) سورة الأعراف .

وعن المقدام بن معدي كرب الكندي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه . أخرجه أحمد ١٣٢/٤ (١٧٣١٨) و"الترمذي" ٢٣٨٠ .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "كل واشرب ، والبس وتصدق ، في غير سرف ولا مخيلة" رواه أحمد وأبو داود وعلفه البخاري هذا حديث صحيح الإسناد .

عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء . أخرجه أحمد ٣٣٣/٣ (١٤٦٣١) و"مسلم" ١٣٣/٦ (٥٤٢٦) .

عن أبي هريرة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يلج الناس به النار ؟ فقال : الأجوفان : الفم ، والفرج ، وسئل عن أكثر ما يلج الناس به الجنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسن الخلق . أخرجه أحمد ٢٩١/٢ (٧٨٩٤) و"البخاري" في "الأدب المفرد" ٢٨٩ .

فالصوم جاء لإعلاء تلك الغريزة وأن لا يكون الشبع والتخمة سلوكاً ومنهجاً للمرء في حياته ، بل عليه أن يشبع مرة ويجوع مرة ، حتى يتعلم الإحساس بالآخرين ، قيل ليويسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . إحياء علوم الدين ٨٥/٣ .

عن الضحاک بن عبد الرحمن بن عزم الأشعري قال : سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول ما يسأل عنه يوم

الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَلَمْ نُنْصَحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٥٨) الصَّحِيحَةُ (٥٣٩) .

قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال عمر رضي الله عنه: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات .

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جاؤوا إليه وقالوا: نشتكى إليك غلاء اللحم فسعره لنا، فقال: أرخصوه أنتم؟ فقالوا: نحن نشتكى غلاء السعر واللحم عند الجزارين، ونحن أصحاب الحاجة فتقول: أرخصوه أنتم؟ فقالوا: وهل نملكه حتى نرخصه؟ وكيف نرخصه وهو ليس في أيدينا؟ فقال قولته الرائعة: اتركوه لهم.

وقال أبو يزيد البسطامي: الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة.

وكان معروف الكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له: إن أخاك بشراً لا يأكل مثل هذا فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز.

ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال: خذ لنا بهذه الدراهم زبداً وعسلاً وخبزاً حوار يا فقيل: يا أبا إسحاق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال.

كان مالك بن دينار يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه و لم يكن معه نقود فخلع نعله و أعطاه لبائع التين فقال : لا يساوي شيئاً فأخذ مالك نعله و انصرف فقيل للرجل إنه مالك بن دينار فملاً الرجل طبقاً من التين و أعطاه لغلامه ثم قال له : ألحق بمالك بن دينار فإن قبله منك فأنت حر، فعدا الغلام وراءه فلما أدركه قال له اقبل مني فإن فيه تحريري . فقال مالك : إن كان فيه تحريرك فإن فيه تعذبي . فألح الغلام عليه فقال : أنا لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين إلى يوم الدين.

قال عبدالله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب * * * وقد يتبع الذلّ إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب * * * وخبر لنفسك عصيانها

فالعاقل لا يقبل أن يعيش عبداً لشهوة بطنه ، ولا أن يجعل غريزة الطعام والشراب تملكه ، وهذا مما يهذبه الصوم في الإنسان .

قال أحمد شوقي أمير الشعراء: "الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وعرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع". **العفاني: نداء الريان في فقه الصوم 2/1.**

يقول الشاعر الرصافي:

وأغبي العالمين فتى أكل * * * لفطنته ببطنته انهزام

ولو أنني استنطعت صيام دهري * * * لصمت فكان ديدني الصيام

٢- الصوم والغريزة الجنسية :

الغريزة الجنسية من أقوى غرائز الإنسان وأعنفها وأعمقها، وإذا لم تشبع وتُصرف انتابت الإنسان كثير من الاضطرابات والمقلقات وتحولت حياته إلى جحيم لا يطاق ؛ لذا فقد اهتم الإسلام بتلك الغريزة وأولاها عناية فائقة ، ومن المبادئ التي وضعها لتهديب وتأديب تلك الغريزة :

أمره بوجوب غص البصر والبعد عن الزنا ومقدماته : قال تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (٣١) سورة النور .

وقال : " وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) سورة الإسراء .

وعن ابن بريدة ، عن أبيه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ يَا عَلِيُّ ، لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ. أخرجه أحمد ٣٥١/٥ (٢٣٣٦٢).

قال الشاعر :

كل الحوادث مبدؤها من النظر *** ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها *** فتك السهام بلا قوس ولا وتر؟
والعبد مادام ذا عين بقلبها في *** أعين الغيد موقوفاً على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته *** لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقال آخر :

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً *** أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف يرناد الشفاء له *** طوقه إنه يأتيك بالعطب

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : الْعَيْنُ تَزْنِي ، وَالْقَلْبُ يَزْنِي ، فزنا العين النظر ، وزنا القلب التمني ، والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه . أخرجه أحمد ٣٢٩/٢ (٨٣٣٨) .

وحثه على الزواج الشرعي وتحريم الرهبانية والانقطاع للعبادة وترك الزواج ، قال تعالى : " ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) سورة الحديد .

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَّا وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي . أخرجه البخاري ٥٠٦٣/٧ .

ولأن هذه الغريزة من أقوى الغرائز لدى الإنسان وقد تأخذه إلى ما فيه مضرته وهلاكه ، فقد جاء صوم رمضان ليهدبها ويعلي من شأنها ، فكما

أن الصوم هذب فيه غريزة الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ؛ فإنه كذلك منعه من غريزة الشهوة في هذا الوقت ، قال تعالى :
" أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ
بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) سورة البقرة .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الصِّيَامُ
وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ
الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفَعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ
بَاللَّيْلِ ، فَشَفَعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤/٣) (٦٦٢٦).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: اضْمُنُوا لِي
سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ
وَأَدُّوا إِذَا اتَّيَمَنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ . أَخْرَجَهُ
أَحْمَدُ (٣٢٣/٥) (٢٣١٣٧) وَالْأَلْبَانِيُّ فِي " السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ " ٤٥٤ / ٣ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِكُلِّ بَنِي آدَمَ
حَظٌّ مِنَ الزَّنا ، فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا
الْبَطْشُ ، وَالرَّجْلَانِ يَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ ، وَالْفَمُّ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقُبْلُ ،
وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ
(٣٤٣/٢) (٨٥٠٧) و"مسلم" ٦٧٤٨ .

يروى ابن الجوزي عنه هذه القصة : أخبرنا يحيى بن ثابت بن بNDAR قال:
أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر السلمي قال:
أخبرنا أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن
أحمد بن زكريا الهاشمي قال: حدثنا صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم
العجلي قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله قال: كانت امرأة جميلة بمكة
وكان لها زوج فنظرت يوماً إلى وجهها في المرأة فقالت لزوجها: أترى
أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به؟ قال: نعم. قالت: ومن؟ قال: عبيد بن
عمير!! قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أدنت لك. فأتته
كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن
وجه مثل فلقة القمر فقال لها: استتري يا أمة الله (يعنى يا عبدة الله)
قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري قال: إني سائلك عن شيء فإن
أنت صدقت نظرت في أمرك قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال:
أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك
هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست
للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال:
صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو
بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟. قالت: اللهم لا. قال:
صدقت فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تتجين أم لا تتجين أكان
يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت فلو جيء
بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين أيسرك أني قضيت لك هذه
الحاجة؟. قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى
للمساءلة كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟. قالت: اللهم لا. قال:

صدقت فاتق الله يا أمة الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها قال: ما صنعت قالت: أنت بطل ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة. قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة. ابن الجوزي: ذم الهوى ٢٦٦.

فالصوم يعلم الإنسان كيف يمتلك هذه الغريزة وكيف يتحكم فيها وإلا وقع في المحذور ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ ، وَيَنْتَفُ شَعْرَهُ ، وَيَقُولُ : مَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ هَلَكْتُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَهْلَكَ ؟ قَالَ : أَصَبْتُ أَهْلِي فِي رَمَضَانَ ، قَالَ : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ : لَا ، وَذَكَرَ الْحَاجَّةَ ، قَالَ : فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَنْبِيلٍ ، وَهُوَ الْمِكْتَلُ ، فِيهِ خَمْسَةُ عَشَرَ صَاعًا ، أَحْسَبُهُ تَمْرًا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيِنَّ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : أَطْعَمَ هَذَا ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَحَدٌ أَحْوَجُ مِنَّا أَهْلَ بَيْتٍ ، قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، قَالَ : أَطْعَمَ أَهْلَكَ. أخرجه "أحمد" ٢٠٨/٢ (١٩٤٤) و"البخاري" ١٩٣٦ و"مسلم" ٢٥٦٤.

قال رجل لابن المبارك: صف لي الوالهيين بالله فقال: هم كما أقول لك: مستوفدين على رجل كأنهم * * * ركب يريدون أن يمضوا وينتقلوا عفت جوارحهم عن كل فاحشة * * * فالصدق مذهبهم والخوف والوجل

٣- الصوم وغريزة حب التملك :

غريزة حب التملك لها جانب ايجابي : وذلك في كونها تسعى لتدفعنا قدما نحو هدف معين ننشد من وراءه امتلاك شيء ما بالطرق المشروعة ، أما وأن تتحول تلك الغريزة إلى أنانية وحب للذات فقط ، ويصبح ما يمتلكه الإنسان من أموال وغيرها أداة للتعالي على الخلق ، وشحا على النفس والغير ، فهذا ما يرفضه الدين الحنيف ، الذي أمر بأن لا تلهي الأموال ولا الأولاد عن طاعة الله، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) سورة المنافقون.

وعن ابن كعب بن مالك الأنصاري ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ذئبان جائعان ، أرسلا في غنم ، بأفسد لها من حرص المرء على المال ، والشرف لدينه. أخرجه أحمد ٤٥٦/٣ (١٥٨٧٦) حديث رقم: ٥٦٢٠ في صحيح الجامع .

فالمال في الإسلام وديعة مستودعة وعارية مستردة ، قال الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع**

وشهر رمضان يهذب غريزة حب التملك فيربي المسلم على الجود والكرم وإطعام الصائمين والتصدق على المساكين بزيادة الفطر الواجبة على الجميع وبأنواع الصدقات ، وأن لا يكون أنانياً لا يحب الخير إلا لنفسه

ولا يسعى إلا لما فيه مصلحته فقط ، بل عليه في رمضان أن يتعود على الجود والعطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ." "البخاري" (١/٤٦) و (٢٢٩/٤) (٣٥٥٤) و "مسلم" (٧/٧٣) (٦٠٧٥).

وعن زيد ابن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا .
الألباني : صحيح ، ابن ماجه (١٧٤٦).

وقد جاء في بعض الإسرائيليات : قال موسى لرب العزة عز وجل : فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك ؟ قال : يا موسى أمر مناديا ينادي على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار . حلية الأولياء (١٩/٦) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟! فقال صلى الله عليه وسلم : إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته ، أو كسوت عورته ، أو قضيت له حاجة . رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني (٩٥٤) في صحيح الترغيب .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا فَجَنَّتْ فِي النَّاسِ لَانْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ عَرَفَتْ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعَتْهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا

بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٥١/٥ (٢٤١٩٢) وَ"ابْنُ
مَاجَةَ" ١٣٣٤.

قال الشاعر :

أَحْسَنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ * * * فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً * * * إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فِتْنَانُ
أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمَّاكَانَ وَمَقْدَرَةً * * * فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمَّاكَانُ

عن أبي بردة قال لما حضر أبا موسى الوفاة قال يا بني اذكروا صاحب
الرغيف قال كان رجل يتعبد في صومعة أراه قال سبعين سنة لا ينزل إلا
في يوم واحد قال فشبهه أو شب الشيطان في عينه امرأة فكان معها سبعة
أيام أو سبع ليال قال ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً فكان كلما
خطا خطوة صلى وسجد فأواه الليل إلى دكان كان عليه اثني عشر مسكينا
فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم وكان ثم راهب يبعث إليهم
كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفا فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل
إنسان رغيفا ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظن أنه مسكين
فأعطاه رغيفا فقال المتروك لصاحب الرغيف مالك لم تعطني رغيفي ما
كان بك عنه غنى فقال أتراني أمسكته عنك سل هل أعطيت أحدا منكم
رغيفين قالوا لا قال تراني أمسكته عنك والله لا أعطيك الليلة شيئا فعمد
التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك فأصبح
التائب ميتا قال فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت السبع
الليالي ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف فرجح الرغيف فقال أبو موسى يا
بني اذكروا صاحب الرغيف . ذكره ابن أبي شيبه في مصنفه ١٠٧/ ٨.
وأبو نعيم في : حلية الأولياء ٢٦٣/١ .

٤- الصوم وغريزة حب الاجتماع :

الإنسان مدني بطبعه ، وبغريزته يحب الاجتماع والتآلف مع بني جنسه ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) سورة الحجرات .

وعن سهل بن سعد، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ". صحيح الجامع الصغير وزبافته للألباني، ٦٦٦١ .

قال الماوردي: بين به أن الإنسان لا يصلح حاله إلا الألفة الجامعة، فإنه مقصود بالأذية محسود بالنعمة. فإذا لم يكن ألفاً مألوفاً، تختطفه أيدي حاسديه، وتحكم فيه أهواء أعاديته، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدة. وإذا كان ألفاً مألوفاً، انتصر بالإلف على أعاديته، وامتنع بهم من حساده، فسلمت نعمته منهم، وصفت مودته بينهم. المناوي: فيض القدير ٣١١/٦ .

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ. أَخْرَجَهُ "البخاري" في (الأدب المفرد) ٣٨٨ .

فهذه الغريزة تحمل الجانب الإيجابي أكثر من الجانب السلبي ، وشهر رمضان فرصة كبيرة لمخالطة الناس والتواصل معهم ، ولكن لا يكون هذا التواصل مدعاة للنشر وأن لا تكون المجالس والاجتماعات الرمضانية فرصة للقليل والقال والغيبة والنميمة والتشاحن والجدال ، وتضييع

الأوقات في اللهو ، عَنْ عُبَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا وَإِنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ثُمَّ عَادَ وَأَرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُمَا وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا قَالَ : ادْعُهُمَا قَالَ : فَجَاءَتَا قَالَ : فَجِئَا بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا : قِيِي فَقَاءَتْ قَيْحًا أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْأُخْرَى : قِيِي فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلَأَتِ الْقَدَحَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا يَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٣١/٥) (٢٤٠٥٣).

قال الإمام ابن الجوزي: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قرينة. ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور، بما لا يعجز عنه البدن من العمل . وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات. فنقل عن عامر بن عبد قيس، أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس! وقال ابن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي، فقال: يا بني دعني فإني في وردي السادس. ودخلوا على بعض السلف عند موته، وهو يصلي، فقبل له. فقال: الآن تطوى صحيفتي. ابن الجوزي: صيد الخاطر ٣١.

فشهر رمضان يجمع الناس على الخير والتآلف تصديقاً لقوله سبحانه : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) سورة المائدة .

فيجمع الناس على صلاة القيام والتهجد ، وعلى دروس العلم وقراءة القرآن والذكر والدعاء ، وعلى إجابة الدعوات للإفطار وصلة الرحم وإحسان الجوار وغيرها من أعمال الخير والبر ليهذب غريزة الاجتماع والتآلف والتواصل مع الناس .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَأنَّ أَمْشِيَّ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ. معجم الطبراني ١٣٠٧/١١ (حسن) انظر حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع .

قال شقيق بن إبراهيم: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر به رجل فقال إبراهيم: أليس هذا فلان؟ فقيل: نعم. فقال لرجل: أدركه فقل له قال لك إبراهيم: لما لم تسلم؟ فقال له، فقال: والله إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء، فخرجت شبه المجنون، قال: فرجعت إلى إبراهيم فقلت له، فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟ وقال: يا فلان إيت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين، فادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر. فدخلت السوق فأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب فقالت امرأته: من هذا؟

قلت: أنا، أردت فلانا. قالت: ليس هو ههنا. قلت: فمري بفتح الباب وتنحي. قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار. فقالت: على يدي من بعث هذا؟ فقلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم. فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. قال شقيق: وقلت لإبراهيم: يا إبراهيم تركت خراسان. فقال: ما تهنت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: هو موسوس، ومن يراني يقول: هو جمال، ثم قال لي: يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج والجهاد إنما نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه، يعني الرغيفين، من حله، يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم، إنما يسأل هؤلاء المساكين، يعني الأغنياء. حلية الأولياء ٣٧٠/٧، صفة الصفوة ٣٣٦/٢.

قال الرافعي في (وحى القلم) : الصوم يصنع الإنسان صناعة جديدة، تخرجه من ذات نفسه وتكسر القالب الأرضي الذي صُبَّ فيه، فإذا هو غير هذا الإنسان الضيق المنحصر في جسمه ودواعي جسمه، فلا تغره الدنيا ولا يمسه الزمان ولا تخضعه المادة، إذا كانت هذه هي صفات المستعبد بأهوائه لا الحرّ فيها، والخاضع بنفسه لا المستقل بها، والمقبور في إنسانيته لا الحيّ فوق إنسانيته؛ ومثل هذا المستعبد الخاضع للمقبور لا وجود له إلا في حكم حواسه، فعمله ما يعيش به لا ما يعيش من أجله، ويتصل بكل شيء اتصالاً مبتوراً ينتهي في هوى من أهواء الحيوان الذي فيه، والصوم يطلق من سلطان نفسه، وينقح الأدمية فيه يجعله يجد نفسه، وموضع نفسه.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة
٤	١ - الصوم وغريزة الطعام والشراب
٨	٢ - الصوم والغريزة الجنسية
١٣	٣ - الصوم وغريزة حب التملك
١٦	٤ - الصوم وغريزة حب الاجتماع
٢٠	الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ